صدقة علينا ما فاته ولينتفع غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس إن ثعلبة أتى مجلساً من مجالس الأنصار فأشهدهم لئن آتانا الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالاً فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال السائب إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهداً شديداً فحلف بالله لئن آتانا الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وحاصله أن ظاهر الآية يدل على أن بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهداً لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا من الرزق لنصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقة **ولنكونن من الصالحين** يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والإنفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير وإخراج الزكاة وإيصالها إلى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل المراد به لنصدقن إخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين إشارة إلى كل ما يفعله أهل الصلاح على الإطلاق من جميع البر والطاعة **فلما آتاهم من فضله بخلوا به** يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أفعال البر شيئاً **وتولوا** يعني عما عاهدوا الله عليه **وهم معرضون فأعقبهم الله نفاقاً في قلوبهم** يعني فأعقبهم الله نفاقاً بأن صيرهم منافقين يقال أعقب فلان ندامة إذا صيرت عاقبة أمره ذلك وقيل معناه أن الله تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم **إلى يوم يلقونه** يعني أنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيموتون على النفاق فيجازيهم عليه **بما أخلفوا الله ما وعدوه** يعني الصدقة والإنفاق في سبيله **وبما كانوا يكذبون** يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من الأحاديث لأن هذه الخصال قد توجد في المسلم الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فقيل إن هذه الخصال خصال نفاق وحاصلها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الأسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقاً خالصاً معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس داخلاً هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعدما كان على خلافه وهو مروي عن ابن

عباس

عباس وعمر ورويا أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض وإليه مال كثير من أئمتنا وحكى الخطابي قولاً آخر أن معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال وحكى أيضاً عن بعضهم أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وإنما يشير إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الإمام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه فإذا عاهد أمراً فليجتهد في الوفاء به وقوله تعالى **ألم يعلموا** يعني هؤلاء المنافقين **أن الله يعلم سرهم** يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق **ونجواهم** يعني ويعلم ما يتناجون به بعضهم بعضاً فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى أنهم يعلمون أن الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها **وأن الله علام الغيوب** وهذا مبالغة في العلم بأن الله تعالى عالم بجميع الأشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم قوله عز وجل **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات** الآية **ق** عن أبي مسعود البدري قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم الآية قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى إنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستون ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **والذين لا يجدون إلا جهدهم** يعني أبا عقيل الأنصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغة غيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل في المال الذي يأتي به فيتصدق به لأن الغني أخرج ذلك المال بكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل إنما أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج إلى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة **فيسخرون منهم** يعني أن المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في إنفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان عن صدقة هؤلاء غنياً وكانوا يعيرون الذي يتصدق بالقليل ويقولون إنه لفقير يحتاج إليه فكيف يتصدق به وجوابه أن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لنيل ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى **سخر الله منهم** يعني أنه تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله **ولهم عذاب أليم** يعني في الآخرة قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يا محمد وهذا كلام مخرجه الأمر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وإنما خص السبعين من العدد بالذكر لأن العرب كانت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)